(١٢)

لبيك

إلى رحمتك نعود وبها نطلب الوجود
يا نور كل موجود ويا معنى كل مشهود
يا حق الحياة وروح كل موعود

حديث العيد

١٠ ذو الحجة ١٣٨٣ هـ - ٢٢ أبريل ١٩٦٤ م

لبيك.. لبيك.. لبيك.

لبيك اللهم لبيك.

لبيك اللهم على عرفات قلوبنا، لبيك.

لبيك في بعث إنساننا، ووضع أوزارنا، وفرق حيواننا، لبيك.

لبيك نلقاك برحمتك منك، نور الحياة، ونور رسولنا لنا، من حقي أنفسنا بك بنا.. لبيك.

لبيك في محو أنانية أنفسنا لها، وبقاء إنسان وجهك بك لنا، لأنانا، ولمعنانا، ذكرًا لك.. لبيك.

لبيك أنت حسبنا ونعم الوكيل بحقك لنا، برسولك بنا، زويت لنا الأرض مسجدا وطهورا.. لبيك.

لبيك لا إله إلا الله، لا يحاط به، وهو المحيط.. لبيك.

لبيك حق رسول الله، لا يُدرك للنفس أناه. وهو المدرِك لها فينا، قائم معناها، لقائم معناه بنا لمعانينا، البقاء له بلا إله إلا الله، والقيام لنا به عبادا لله، بشعارنا لمعبودنا ومنشودنا، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

لبيك على عرفاتك شعارا لمعرفته ساحة الحق، بها اجتمعنا، وفيها تعارفنا، أعلى وأدنى، ملأً له، وملأً لربه، الله من وراء الأعلى بإحاطته، ربا راعيا لا يحاط به، والله من وراء الأدنى بقربه حقا مدانيا، ورسولا مخاللا، وكتابا هاديا.. لبيك.

لبيك يا من كان العبد فيه حق، حقية الرب فيه.. لبيك.

لبيك يا من كان الرب فيه عبد، عبودية الحق فيه.. لبيك.

لبيك يا من إذا صدق الجوار، أو شَفَّ الجدار، ظهر مصليا على الناس، سكينة لهم، وهو من يصلي عليه الناس، قبلة ومعرفة لهم.. لبيك.

لبيك يا من هو من وراء المصلين على الناس في بيت ذكره.. ويا من هو من وراء الطائفين بالبيت لقائم أمره.. ذكرا للمذكور عندهم بأهله.. بيتًا وضع أو بيتا رفع، قام جماع كلمات، وقيام آيات، ونداء دعوات بينات، ويد نجدة، وأيدي نجدات، وطلعة سعادة، وعديد طلعات، وحوض رحمة، وأحواض رحمات.. لبيك اللهم لبيك.

الناس نفوسا فيه عبدا لله ووطنا لهم سواسية كأسنان المشط، لا شرف لعربي على أعجمي فيهم إلا بالتقوى، نفوس مطمئنة، أقربهم منازل في قيامته بأمرهم وقيامتهم بأمره أحاسنهم أخلاقا، الموطئون أكنافا، الذين يؤلفون ويألفون.. لبيك.

به جاء الحق وزهق الباطل، يتيما أووي، وموصولا آوى، جعل في أمره أمر الله، وفي اهتدائه هدي الله، وفي متابعته تقوى الله، وفي وصلته قرب الله، وفي قيامه بنوره ماحيا ظلام النفوس وصلة الله، وسفينة الله، وبيت الله، وعَلَمُ الله، وحضرة الله، وحقية الله، ووحدانية الله، وأحدية الله، وظاهر الله لباطن الله، وباطن الله لظاهر الله.. لبيك.

به قُدر الله على ما يليق بالله، وقامت لا إله إلا الله، حصنا لله بحقي الإنسان، ورفع الإنسان شعار (الله أكبر) في ذي المعارج، في لانهائي الله، نعمته لا تجز، وقربه لا يتوقف، وهديه لا ينقضي، ورفده لا ينقطع. وتحددت للإنسان غايته، فإذا هي في لقاء الإنسان، وقيام معنى الإنسان لقائم البنيان ظلا للإنسان.

بهذا قامت الفطرة، وهذا ما صدر عن الفطرة، وبهذا تحققت الفطرة، وبه أصبحت الفطرة خلقا وحقا، وأصبحت الفطرة مصدرا للدين، ودينا للعيان ولليقين.. لبيك.

صارت الفطرة بهذا، عبدا وربا، وظاهرا وباطنا، وإلها ومألوها، وآلها، وتكشف الله، وأسفر الله، وجاء الحق من الله، وزهق الباطل من وهم سواه، وفني كل من عليها بباطله، وبقي كل من عليها بحقه، زويت الأرض لعبده وحقه، وجُعلت مسجدا وطهورا لرسوله وأمره.. لبيك.

هكذا كان، وهكذا هو كائن، وهكذا يكون، لا موجود بحق إلا الله، إذا شُهدت لا إله إلا الله، وإذا دخل موحد حصن لا إله إلا الله، رافعا على نفسه شعارها، مقيما على قلبه حقها، قائما في نفسه وللناس دارها وجوارها.. ذَكَرَها وكان ذِكرَها.. دخلها وكان مدخلها.. دخلها وكان للناس بابها.. دخل دارها فكان للناس دارا لها.. لبيك.

نعم لا إله إلا الله، لا شريك له، والله أكبر، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، معرفةً قامها عبده وأول العابدين عندنا، وأقامها رسوله وجماع رسله بيننا، فكان أول بيت وضع للناس رحمة للعالمين.. لبيك.. لبيك.. لبيك.

في مثل هذه الأيام من كل عام، نحيي أيام عيد الأضحى، فهل بيننا من أضحى لا إله إلا الله؟ وهل بيننا من عرج الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، وهو يقوم ويردد.. لبيك؟

هل بيننا من آل محمدًا بامتداد نوره في الساجدين، وامتداد روحه في العابدين، فصلينا على محمد بالصلة به، والصلاة عليه، والصلاة له، ذكرا لله، وقبلة للناس يلقون فيها الله، فأدينا مناسكنا بالطواف حول معناه، وصححنا صلاتنا، بصلتنا في قيام صلاتنا بحقائق الله في معراج الله، يوم أنَّا في صلاتنا استقبلناه، فملنا، وطربنا، يوم عرفنا عترة رسول الله، وأهل بيت الله، يذكر الله في ذكرهم، ويعرف الله في معرفتهم، فأنشدنا ثملين، (أنتم فروضي ونفلي، أنتم صلاتي وذكري، أنتم حياتي، وشغلي، يا قبلتي في صلاتي إذا ما وقفت أصلي)[1] وناجينا طربين، يا بيت طوافي، يا إيمان اغترافي، يا عرفات حجيجي، يا زمزم ورودي، يا حياة وجودي، يا جمال شهودي، يا جلال سجودي. فقالت قلوبنا... لبيك؟

هل بيننا من قام مثنى وفرادى، فعرف فنادى، يا نعم الحق لنعم الخلق، يا نعمة الحياة، يا سفن النجاة، يا منارات الطريق، يا رفاق الصاحب والصديق، يا دليل السلامة، يا أدلاء الكرامة، يا أعلام القيامة، يا ساعة الرضاء، يا لمحة العطاء، يا تحقيق النداء، يا مأوى الوجاء، يا بيوت الرجاء، يا حصون الالتجاء، يا مصابيح الله، يا وجوه الله، يا عروش الله، يا كراسي الله، يا جنان الله، يا عوالم الله، يا وجود الله، يا عباد الله، يا رحمة الله، هل عرفكم العارفون؟ هل اتقى فقدانكم المتقون؟ هل عشقكم المحبون؟ هل طلبكم المفتقرون؟ هل أسلم لكم المسلمون؟ هل آمن بكم المؤمنون؟ هل أحسن في وصلتكم المحسنون؟ (الخير فيَّ وفي أُمتي إلى يوم القيامة)[2]، (لا تزال طائفة من أُمتي قائمون على الحق،

لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة)[٣]، (تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي)[٤]، {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما}[٥]، (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخالل)[٦]، ها نحن نحاول.. لبيك.

يا آل محمد.. يا محمد.. يا محمد الله.. يا محمد الوجود.. يا محمد الحق.. يا محمد الحقيقة.. يا محمد الطريقة.. يا آل البيت.. يا ذكر الله قديما.. ويا ذكر الله محدثا.. ويا ذكر الله دائما.. يا إنسانية الله.. يا مذكور الله عند ذكر الله.. يا أذكار الله.. يا معارج الله.. يا حقائق الله.. يا رسل الله.. يا وجوه الله.. يا سفور الله، يا غيوب الله.. يا كتب الله.. يا أنوار الله.. يا أسماء الله، يا ملائكة الله.. يا جند الله.. يا أنصار الله.. يا سيوف الله، يا قدرة الله.. يا بقاء الله.. يا عباد الله.. يا عترة رسول الله... لبيك.

يا عباد الرحمن.. يا أيدي الديان.. يا عضد الإحسان.. هلا إليكم رجعنا، وبكم منكم فيكم استيقظنا، وبرحمة الله أنتم نُجِدنَا، ووجوه الله كرما شهدنا، فرفعنا شعار العيد يوم إليكم عُدنا، فكان لنا إلى الله عودة في عودتنا؟ يا من إلى الله عدتم، فوجوها لله كنتم، وأيدي له امتددتم، مَن عرفكم عيد فكان في عَود وليد، بالحق بكم سعيد، في دثار من خلق جديد.. لبيك اللهم لبيك.

إليك يا رسول الله.. إليك يا حبيب الله.. إليك يا خليل الله.. إليك يا وجه الله.. إليك يا من عرفت الله عبدا له برفيق أعلى، وعرفت الله اسما له، بمحو معناك إلى قائم أمره، لقيوم معناه، في قائم مجلاه برفيق أدنى، بدخولك في حصن لا إله إلا الله رحمة له، ورائدا لنا، وإماما لنا، ورسولا من أنفسنا، حتى نقوم مقامك، ونتحدث في الناس كلامك، كافةً للناس جعلك الله رحمة للعالمين، ونبراسا للصادقين، وإماما للآيبين.. لبيك.

لبيك لا إله إلا أنت سبحانك، إنا كنا من الظالمين. ها نحن إليك نرجع، وإلى الحق نؤوب بتلبية رسولك تلبية لك، نتخذ منه قبلة لنا في دثار بعثه بروحه من أنفسنا، نائما بيننا، تطوف به أرواحنا، وتتجه إلى الله اتجاها إليه قلوبنا.. لبيك.

لبيك اللهم به فاقبلنا.. لبيك اللهم به فارحمنا.. لبيك اللهم به إلى أحضان رحمتك فاضممنا.. لبيك

اللهم بمحمد حققك فأشهدنا، وقنا، وأقنا، وانشرنا، وأعلِ كلمة الحق علينا، وأعلِ كلمة الحق فينا، وأعلِ كلمة الحق بنا، وأشهدنا كلمة الحق منك لنا رفيقا أعلى، ورفيقا أدنى، حتى لا تطغنا نفوسنا بعزتك لنا مؤمنين بالله ورسوله.. لبيك.

لبيك سبحانك لا إله غيرك، ولا معبود سواك، ادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، برحمتك، وبعزتك، وأنت الأرحم، وأنت الأعز الأكرم.. لبيك.

اللهم اكشف الغمة عن هذا البلد وعن بلاد المسلمين، وعن الأرض، زويت لعبدك ورسولك، الكل منه، والكل في رحمتك به، والكل في هديه، والكل في إرشاده، وقياده، وتوجيهه، وعِلمه، اللهم به فارحمنا، وبه فصلنا، وبه فاقبلنا، لا إله غيرك.. لبيك.

اللهم به أصلح أمرنا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، غافلين ويقظين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وأعد علينا مثل هذا اليوم، ونحن في حال أحسن، وفي إيمان أكبر، وفي طريق أقوم، وفي نور أسطع، وفي روح أقرب، وفي حياة أعلى، عطاءً منك غير مجذوذ، يا من عرفناك لا نهاية لوجودك، ولا نهاية لعطائك وجودك، ولا نهاية لشهودك، ولا نهاية لقربك، ولا نهاية لعظمتك، ولا نهاية لعزتك، لا إله إلا الله محمد رسول الله.. لبيك اللهم لبيك.

أضواء على الطريق

(تذكروا دائما أننا الذين نرتبط بكم من مستوى الحقيقة الروحية، لا نرتبط بكم كأجسام ولكن كعقول. أفكاركم ومخاوفكم، آمالكم وأشواقكم، رغباتكم وطلباتكم ودوافعكم، منطقكم وأحكامكم، هذه ما هي إلا حقائق بالنسبة لنا، لأنها صادرة من العقل. وليست الأشياء المادية بالنسبة لنا حقيقة، اللهم إلا إذا كانت جزءا مما نصبو إليه من أمور.

تذكروا دائما أنكم روح ولستم جسما، وأن الروح هي الأصل وليس الجسم. إن تعلمكم لهذا الدرس من الصعوبة بمكان ما دمتم متجسدين، ما دمتم في العالم الفيزيقي. ولكن أنتم أرواح وهي الأصول لكم ولستم المادة، ولا يمكن أن تظلوا إلى الأبد متأثرين بالأشياء المادية. ولو أنكم قد تخضعون الروح مؤقتا، ولو أنكم قد تسيئون إلى الروح أو تؤلمونها مؤقتا، إلا أنه لا يمكنكم أن تحطموها. لا يمكنكم أن تطردوها من الوجود.

تعلقوا بقوانين الحقيقة التي تدور حولها كل حياتكم ذاتها، التي يدور حولها كل العالم نفسه، فإنها هي المفاتيح الوحيدة لحل لغز الوجود. نحن نُذكِّر أطفال الروح الأعظم بالمبادئ الخالدة التي يجب أن تبقى، لا في العالم الروحي فقط ولكن في عالم المادة أيضا. فالإنسان لا يمكنه أن يخدع القانون. والروح الأعظم لا يمكن أن يسخر منه، وفي يوم تأسفون تحكم عدالة السماء).

(برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ من أشعار الصوفي ابن الفارض.

٢ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٣ من الحديث الشريف: "لا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي على الدِّينِ ظاهرينَ، لعدوِّهم قاهرينَ، لا يضرُّهم مَن خالفَهُم، إلَّا ما أصابَهُم مِن لأواءَ حتَّى يأتيَهُم أمرُ اللَّهِ وَهُم كذلِكَ. قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، وأينَ هُم؟ قالَ: ببيتِ المقدسِ وأَكْنافِ بيتِ المقدسِ". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة." أخرجه الحاكم.

٤ إشارة إلى حديثين شريفين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي:

٥ سورة الفرقان - ٦٣

٦ حديث شريف: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل). أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.